الكرسي الرسولي

كلمة قداسة البابا فرنسيس

صلاة التبشير الملائكي

الأحد 8 ديسمبر/كانون الأوّل 2019

ساحة القدّيس بطرس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نحتفل اليوم بعيد سيدتنا مريم العذراء البريئة من كل خطيئة. يقع هذا العيد في سياق زمن المجيء، وهو وقت الانتظار، فيه يحقق الله وعده للبشرية. في احتفال اليوم، يُعلَن لنا أنه قد تم بالفعل تحقيق شيء ما، في شخص مريم العذراء وفي حياتها. من خلال ما تحقق نحن نعتبر هذا اليوم أنه البداية، الذي بدأ قبل ولادة والدة الرب يسوع. في الواقع، إيماننا بأن الله صان مريم من كل خطيئة يقودنا إلى تلك اللحظة المحددة التي بدأت فيها حياة مريم تخفق في رحم أمها: منذ تلك اللحظة، حب الله المقدِّس حفظها من عدوى الشر الذي هو ميراث العائلة البشرية كلها.

في إنجيل اليوم، تدوّي تحية الملاك لمريم: "إفْرَحِي، أَيَّتُها الـمُمتَلِئَةُ نِعْمَةً، الرَّبُّ مَعَكِ" (لو 1، 28). كانت مريم في فكر الله منذ الأزل، وأرادها، في تدبيره الذي لا يُستَقصَى، أن تكون خليقة مليئة بالنعمة، مليئة بمحبته. ولكن حتى نمتلئ، من الضروري أن نفسح المجال، وأن نفرغ أنفسنا وأن نتنحى جانبًا. تمامًا كما فعلت مريم، التي عرفت أن تضع نفسها في حالة إصغاء إلى كلمة الله وأن تثق ثقة كاملة بإرادته، وأن تقبلها بدون تحفظ في حياتها، لدرجة أن كلمة الله صار فيها جسداً. كان هذا ممكنًا لأنها قالت لله "نعم". إلى الملاك الذي طلب منها أن تصبح والدة يسوع، أجابت مريم: " أَنا أَمَةُ الرَّبِّ فَلْيَكُنْ لي بِحَسَبِ قَوْلِكَ" (آية 38).

لم تدخل مريم في متاهات الحجج الكثيرة، ولم تضع عقبات أمام الله، بل سلمت أمرها لله بكلّ استعداد، وتركت مجالًا لعمل الروح القدس. وضعت فوراً كل كيانها وكل شخصها وحياتها بين يدي الله، حتى يتمكن الكلمة وإرادة الله من تكوينها والبلوغ بها إلى صورتها الكاملة. وهكذا أصبحت مريم منسجمة بصورة كاملة مع تدبير الله لها، فصارت "الكلية الجمال" و "الكلّيّة القداسة"، ولكن من دون أدنى ظلّ من الإعجاب بالنفس. هي متواضعة. هي تحفة، وبقيت متواضعة وصغيرة وفقيرة. فيها ينعكس جمال الله الذي هو كله محبة ونعمة وبذل للذات.

أود أيضًا أن أشير إلى اللفظة التي عرّفَت بها مريم عن نفسها حين سلّمت ذاتها لله: قالت إنها " أَمَةُ الرَّبّ". بقولها "نعم" لله، اتّخذت منذ البدء موقف الخدمة، والاهتمام باحتياجات الغير. يشهد على ذلك بصورة عملية زيارتها لأليصابات، التي جاءت مباشرة بعد البشارة. استعدادها لخدمة الله يظهر في استعدادها للاهتمام باحتياجات الغير. كل هذا دون ضجة وتباهٍ، ودون البحث عن أماكن الشرف، ودون دعاية، لأن المحبة وأعمال الرحمة لا تحتاج إلى استعراض مثل

الجوائز. إن أعمال الرحمة تتم في الصمت، وفي الخفاء، ودون التباهي بالقيام بها. كذلك في جماعاتنا، نحن مدعوون إلى اتباع مثال مريم، فنسلك ونعمل في صمت واختفاء عن الأنظار.

ليساعدنا عيد أمنا مريم العذراء لنجعل حياتنا كلها كلمة "نعم" لله، "نعَمْ" سجودٍ له تعالى، وأعمال محبة وخدمة في كل يوم.

صلاة التبشير الملائكي

بعد صلاة التبشير الملائكي

أيّها الإخوة والأخوات الأعزاء!

سأذهب بعد الظهر اليوم إلى بازليك القديسة مريم الكبرى من أجل الصلاة للسيدة مريم العذراء، ثم إلى ساحة إسبانيا في روما من أجل التكريم التقليدي عند أقدام تمثال العذراء سلطانة الحبل بلا دنس. أسألكم أن تتحدوا معي روحيًا في هذا التكريم الذي يعبِّر عن إكرامنا البنويّ لأمنا السماويّة.

أتمنى لكم جميعًا عيدًا سعيدًا ومسيرة زمن المجيء مباركة نحو الميلاد برفقة مريم العذراء، من فضلكم، لا تنسوا أن تصلّوا من أجلي. غداء هنيئًا وإلى اللقاء!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2019

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana